بيد أن ظروف الحرب الثانية عادت فأكسبت الحركة العمالية امكانات موضوعية وذاتية للنهوض مجددا ، ويعبر عن ذلك جليا مؤتمر عام ١٩٤٣ لعمال المعسكرات ، حيث كان مندوبو المؤتمر يمثلون ٢٨٠٠٠ عامل وقد تمكنت الجمعية من فتح ما يقارب الثلاثين فرعا لها في انحاء مختلفة من فلسطين وبلغ اعضاء هذه الفروع ٣٥٢١٧ عاملا(١٨) .

ان الامور الاكثر دلالة هي ان جمعية العمال العرب استطاعت ان تشترك في مؤتمر نقابات العمال الدولي الذي عقد في السادس من شباط ١٩٤٥ ، بدلا من الهستدروت الذي كان عضوا يمثل الحركة العمالية في فلسطين . ان هذا الكسب السياسي قد سبب انزعاجا حقيقيا للهستدروت الذي حاول عبثا التقليل من شأن جمعية العمال العربية والتأثير ضدها بين أعضاء المؤتمر(١٩) .

ان الانقسام العمودي بين العمال الفلسطينيين والعمال اليهود كان شبه كامل ، فالعمال العرب منخرطون في نقاباتهم الخاصة ما عدا قلة قليلة كانت منضوية في فروع الهستدروت المخصصة للعرب والمار ذكرها . فيما كان للعمال اليهود نقابتهم الخاصة الهستدروت واحزابهم الخاصة ، الاحزاب الصهيونية اليسارية .

التنظيم الوحيد الذي كان يجمع بين العمال العرب والعمال اليهود هو الحزب الشيوعي في فلسطين . ان الكوادر العليا لهذا الحزب كانت في معظمها يهودية . وهذا ما جعل اعضاء الحزب من العرب قليلي العدد جدا . كما أن الايديولوجيا السائدة ، القومية والدينية بين العمال الفلسطينيين كانت ايضا سببا اضافيا لابتعاد العمال الفلسطينيين عن الحزب الشيوعي . هذان العاملان كانا يجعلان الشيوعيين الفلسطينيين القلائل « معزولين » ومنبوذين(٢٠) . اما العمال اليهود الذين ينتمون للحزب الشيوعي فانهم غالبا ما كانوا يهاجرون من فلسطين بمجرد ما يعون وضعهم الحرج كمستعمرين ، لكونهم قد هاجروا غالبا تحت تأثير الدعاية الصهيونية . فقد كانت عودتهم الى الاوطان التي هاجروا منها المخرج الوحيد لهم ، بصفتهم شيوعيين واعداء للاستعمار ، من التناقض الذي كانوا يواجهونه .

من جهة اخرى كانت حكومة الانتداب تهجر جبرا كل من يثبت لديها انه يهودي شيوعي . وكانت « تحرم دخول الاراضي الفلسطينية على المهاجرين المشبوهين بالبلشفية »(٢١) . بيد ان قيادة الحزب الشيوعي لم تكن قيادة اممية ، لقد كانت خاضعة لتأثيرات الايديولوجية الصهيونية السائدة من جهة وللماضي الصهيوني لعدد كبير من مناضلي الحزب الذين غالبا ما مروا ، عبر مسيرتهم نحو الحزب الشيوعي ، بالاحزاب الصهيونية اليسارية . وهنا نجد علة عدم الاستقرار في حجم الشيوعيين ، هذا الاستقرار الذي كان يتحرر باستمرار في قوة الحزب(٢٢) .

ان نقطة الضعف الاساسية في الحزب الشيوعي الفلسطيني هي تكونه كنتيجة للاندماج في صلب الحزب العمالي الاشتراكي ، هذا الاندماج الذي حصل في سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ بين اقصى يسار البوعيلي تسيون في فلسطين ، وبين عدد كبير من الفرق الصغيرة التي كانت قد انفصلت عن البوعيلي تسيون في اوروبا الشرقية . كان الحزب العمالي الاشتراكي يعلن بأنه من انصار ايديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » وهو لذلك لم يكن يختلف اختلافا جذريا عن برنامج الاحزاب الصهيونية اليسارية . وليس من باب الصدفة ان الحزب لم ينضم فورا للاممية الثالثة ، كما ان الحزب العمالي الاشتراكي ساهم في المؤتمر التأسيسي للهستدروت حيث حصل على سبعة مقاعد من مجموع ٨٧ مقعدا ، وكان يحبذ استخدام اليديش لكن مطالب دعائية فعالة قادته الى التخلي عن اليديش واستعمال العبرية .

لقد توصل القادة الصهاينة من جهة وسلطات الانتداب من جهة ثانية ، الى ان الحزب